بيناه وايضا فان الامثال الاخبار التي لا اصل فيها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الا
الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف وجه ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد
في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه
الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا مع تداول الفرق وكثرة
طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها
الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه
بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به
من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما وما عندي اوجب قول القائل ان
هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها و
شغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل
عنه ان ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في
المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالحديد و
غيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف
هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن العظيم اعلم وفقنا الله واياك
ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته

الخارقة

الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن
ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة
الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا
صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا
في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه و
بدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه
وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في
السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين

فيخطبون

في الخطابة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)